في وزارة المعارف

مدرسة اللغات القديمة ايضا

بين يدى الآن التقرير النهائى للجنة الجامعة الحكومية . اقرأ فيه ما كتب عن درس الآثار في هذه الجامعة . وكانت وزارة المعارف قد الفت الدرس هذا الموضوع لجنة لا بأس بها وكان أعضاء هذه اللجنة الأستاذ المسيو لاكو» مدير مصلحة الآثار المصرية والأستاذ المسيو «فوكار» مدير المعهد الأثرى الفرنسى فى مصر وصاحب السعادة عبد الحميد باشا مصطفى وصاحب السعادة أحمد كمال باشا وانفصل عن اللجنة صاحب العزة على بك بهجت مدير دار الآثار العربية

أقرأ تقرير هذه اللجنة الخاصة عن درس الآثار فى جامعة الحكومة فأرى أن هذه اللجنة قد نصت صراحة علي أن الفصل بين درس اللغات ودرس الآثار غير معقول ولا مفيد . وقضت في صراحة على هذه الفكرة التي كانت تريد أن تنشئ مدرسة تشبه مدرسة اللغات أو مدرسة الالسن وتدرس فيها اللغات دون الآثار .

الحق أنى لم اكن قد قرأت هذا التقرير عندما كتبت المقالة الأولى في هذا الموضوع فلما قرأته اليوم لم تزدني قراءته إلا إيمانا وتثبيتاً واغتباطا بما كان من اتفاقي في الرأي مع لاكو وفوكار وكمال وكلهم فنى وكلهم متقن للآثار المصرية واللغة المصرية . ازددت اذن ايمانا وتثبيتا واصراراً على أن وزارة المعارف تخطئ الطريق وتتجاوز القصد حين تنشئ مدرسة للغات القديمة أو قسما للغات القديمة تلحقه بمدرسة المعلمين العليا . تخطئ الطريق وتتجاوز القصد لأن اللغة الهيروغليفية كما قلت ليست لغة تدرس لنفسها وإنما هي لغة تدرس القراءة الآثار ، وقراءة الآثار وحدها لا تفيد لأن هناك آثار كثيرة غير مكتوبة ولا بد من اصطناعها وتفهمها إذا أردنا أن نفهم تاريخ مصر القديم . فلابد إذن من أن ندرس فنون الآثار على اختلافها بحيث يكون طلابنا قادرين على أن يستخدموا الآثار جميعها لدرس التاريخ المصرى سواء من هذه الآثار ما كتب ومالم يكتب . والغريب في هذا الامر ان صاحب السعادة كمال باشا امضى هذا التقرير ووافق على النص الذي يحظر الفصل بين درس اللغة ودرس الآثار . وهو مع هذا الامضاء وهذه الموافقة واضع المشروع العقيم الذى نحاربه حرباً صريحة لأننا نعتقد أنه غير نافع وأن شره أكثر من خيره وإن كانت وزارة المعارف لا تحفل بنصح ناصح ولا تعنى بمشورة من يشير . وان كانت وزارة المعارف لا تحفل بأن تناقض نفسها وتتورط فى شيء كانت أزمعت ألا تتورط فيه لأن وزارة المعارف قد

أصبحت منذ حين مشغوفة بالإعلان عن نفسها كلفة بتملق الجمهور والاستفادة من عواطفه . فهى تعلم أن الجمهور حريص على درس اللغة الهيروغليفية . وإذن فهى تزعم للجمهور أنها ستدرس له اللغة الهيروغليفية . وهي تعلم أن الجمهور حريص على أن يكون المصريون هم أصحاب المناصب على اختلافها . ونجد من الصحف ومن أصحاب الصحف من يحمد لها ذلك ويشجعها عليه فتمضى إلى الأمام غير معنية بحق ولا منفعة وانما يعنيها التصفيق والتصفيق وحده .

نعم ان وزارة المعارف تخطئ الطريق وهى تعلم انها جربت درس الهيروغليفية حين أنشأت في مدرسة المعلمين درسا لهذه اللغة وكلفت كمال باشا القيام بهذا الدرس ففشل الدرس ولم ينته بوزارة المعارف الى نتيجة . وهى الآن تعيد هذه التجربة التي فشلت ، وتعيدها فى طريقة أوسع وأشد تعقيداً . فشلت في درس الهيروغليفية فتريد أن تفشل فيه مرة أخرى وأن تفشل فى اليونانية واللاتينية والقبطية لأنها تريد أن تدرس هذه اللغات كما درست الهيروغليفية فى تجربتها الأولى . وليس لهذا علة إلا ما ذكرته لك من كلف الوزارة في هذه الأيام الأخيرة بإعجاب المعجبين وتصفيق المصفقين وثناء الصحف والصحفيين . وفى الأمر شيء آخر غريب وهو أن هذا التقرير الذي أشرت اليه آنفا يرى الاكتفاء بأستاذين للآثار المصرية القديمة ويشعر بأن هذا شاق ناقص ولكنه مضطر اليه لأن وجود الاساتذة ليس بالشيء اليسير . ذلك يرى التقرير وعلى ذلك ينص التقرير .

أما وزارة المعارف - أو كمال باشا الذى أمضى هذا التقرير فيرى الاكتفاء بأستاذ واحد هو كمال باشا ويمنح هذا الأستاذ الواحد الذى هو كمال باشا مرتب استاذين لأن أستاذ اللغة السامية أو اليونانية سيتقاضى مرتبا لا يتجوز مائتي جنيه . أما استاذ الهيروغليفية (كمال باشا) فسيتقاضى ٤٠٠ جنيه لأنه سيكون استاذا ومشرفا في وقت واحد فهو يتقاضى مرتب الأستاذ ومرتب المشرف . وكنت أظن أم وطنية كمال باشا تسمح له بأن يشرف مجانا بحيث تستطيع وزارة المعارف أن تضم اليه استاذا آخر يعلم الآثار بينما هو يعلم اللغة . كنت أظن ذلك وهو ليس بعسير على كمال باشا الذي لا يريد إلا الخير ولا يتمنى إلا أن تنشأ مدرسة الآثار قبل موته . وكنت أظن أن وزارة المعارف تستطيع أن تستغل وطنية الاستاذ لمصلحة مصر وأن تستغل حب الاستاذ فنه لمصلحة مصر . ولكننا نريد شيئا ويريد الله شيئا آخر . واذا أراد الله شيئا فلا مرد له . غير أني أزعم شيئا آخر ، أزعم أن السياسة «الدنلوبية لا تزال مشرفة في وزارة المعارف وهذه السياسة ،

الدنلوبية امتازت وستمتاز دائما بشيئين : أحدهما أنها ضيقة التصور ليست بالعميقة ولا الحرة . تتصور الأشياء منقوصة . تتصورها من أحد وجوهها لا من وجوهها كلها . وهي في الوقت نفسه جامدة غير حرة تعنى بالألفاظ والعبث بالعقول أكثر مما تعنى بالحقائق والمنفعة الصحيحة . الثانى أنها تنافس كل حركة وطنية لا تصدر عن وزارة المعارف . تريد أن تحتكر كل شيء . تريد أن تستأثر وحدها بالأمر لتفسد ولا تصلح . هي ضيقة جامدة وهي محتكرة أثره . واليك البيان :

لا التمس هذا البيان بعيداً وإنما أجده فى هذه المدرسة نفسها . فقد رأيت كيف تصورت الآثار المصرية واللغة المصرية القديمة . فأنشأت ثوبا شديد القصر جدا . شديد الضيق جداً يلبسه من يلبسه فاذا هو لا يسع طوله ولا عرضه وقد رأيت في المقال السابق أن الجامعة المصرية تدرس ما ستدرسه وزارة المعارف ففيها درس العبرية واللاتينية وسيكون فيها منذ السنة المقبلة درس اليونانية والهيروغليفية . واذن فوزارة المعارف تنافس الجامعة المصرية لا أكثر ولا أقل . تنافسها وتريد أن تخنقها لأن الجامعة معهد وطني حر وقد قامت سياسة دنلوب على أن المعاهد الوطنية الحرة أما أن تذعن لوزارة المعارف وأما أن تزول . تنافسها وهى منتصرة فى هذه المنافسة لأن لشهاداتها قيمة رسمية وليس لشهادات الجامعة قيمة رسمية . واذن فالطلبة يكلفون بالشهادات القيمة التي تقدر بالمال وينصرفون عن هذه الشهادات التي ليست لها قيمة مالية . واذن فسيجد أستاذ الهيروغليفية فى مدرسة المعلمين طلابا وسيبحث أستاذ الهيروغليفية في الجامعة عند هؤلاء الطلاب فلا يجدهم . واذن فيجب أن تغلق الجامعة أبوابها .

لا أستطيع أن أفسر حركة المعارف غير هذا التفسير ، ويخيل إلى أنه لا يستحق الأعجاب ولا تصفيق الجمهور . ويخيل إلى أن الجامعة خليقة بالتشجيع والمعونة لا بالخذلان والمنافسة ، ويخيل إلى أن الجامعة أكرم وأحرص على المنفعة من وزارة المعارف . ففى الأمر شيء غريب ! في الأمر أن وزارة المعارف التى تنفق مئات الألوف من الجنيهات على كبار الموظفين الذين لا يعرفون من الهيروغليفية إلا اسمها قد بحثت في كل وزارة المعارف فى أركانها وزواياها . فيمن أرسلتهم إلى أوربا ومن علمتهم في مصر . بحثت عن أستاذ للغة العبرية فلم تجد . فلجأت إلى الجامعة تستعير منها أستاذها . ولن ترفض الجامعة ولن يرفض أستاذ الجامعة لانهما يريدان الخير . ووزارة المعارف تريد أن تنافس الجامعة وان تنافسها بأستاذ الجامعة . أليس في ذلك شيء من المهارة السياسة دنلوب» ؟ أليس في ذلك شيء من الخزي السياسة دنلوب؟ أليس في ذلك

شرف لهذه الجامعة التي حاربها دنلوب وتلاميذ دنلوب منذ أنشئت وهم الآن يلجئون إليها ويطلبون معونتها لأنها انتصرت فى ضيق وشدة على سياسة دنلوب وانصار دنلوب

الوزارة اذن تنافس الجامعة وتنافسها منافسة ليست كريمة ولا صادقة ولا نافعة . ولو أن سياسة دنلوب غير مشرفة في وزارة المعارف لسلكت وزارة المعارف احدى طريقين : فإما أنا تنشئ مدرسة للآثار ، مدرسة كاملة . مدرسة تنفق عليها آلاف الجنيهات لتخرج الأثريين النافعين حقا ، واما أن تعدل عن هذا المشروع العقيم وتمنح الجامعة هذا المقدار الضئيل من المال لتوسع به الجامعة نطاق البحث فيها . ولكن وزارة المعارف لا تزال دنلوبية . فهى لا تبحث عن نفع ولا عن خير . وإنما تريد تصفيق الجمهور وتحارب المعاهد الحرة التي ينشئها هذا الجمهور .

قلت لك إننا نريد شيئا ويريد الله شيئا آخر واذا أراد الله بقوم سوءاً فلا مرد له » .

طه حسين

السياسة ، ١٢ يولية ١٩٢٣ .